Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجهل شخصيةَ هذه الأمة، من يتصور أنها اطمأنت إلى شيء من البضاعة الفكرية المجلوبة أو انفعلت بها وهى تتأهب للاقتحام العنيد لكل العوائق التى تحول دون وجودها الحر .

فمن قبل أن تسمع الدنيا بالمذاهب الحديثة والحركات الثورية المعاصرة ، كان هذا الشعب الأمى يفرض وجوده على الغزاة والطغاة من كل جنس وملة، فيحسبون له ألف حساب !

فرض وجوده ، فى ظلمات العصر التركى على « نابليون » فحاول أن يستميله بتقريب زعمائه الدينيين ، بل تظاهر بأنه يريد اعتناق الإسلام ، استجلاباً لرضى الشعب الأبى العنيد !

وفرض وجوده على الباب العالى . فكان عزلُ واليه « كتخدا » خضوعاً لإرادة الشعب . وكانت ولاية « محمد على » نزولاً على كلمة المشايخ الذين توسل إليهم الداهية الألبانى ، بإقراره بالولاء للفلاح المصرى ، ولى نعمته كما كان يقول .

وفرض وجوده على بريطانيا العظمى من اليوم الأول للاحتلال ، فلم يطأ « ولسلى » أرض مصر حتى أذاع فى أهلها منشوراً يعد فيه باحترام عقائدهم ومساجدهم وكنائسهم ، وحتى سعى « دوفرين » مسعاه لدى السلطان لإعلان مروق « عرابى » عن الدين بخروجه على طاعة ولى الأمر !

وفرض وجوده على القصر والحاكمين بأمرهم وبغير أمرهم فيه ، فما هدأ له بال ولا قر لهم قرار . ومرت المرحلة يعصف بها عاصف من القلق .

* * *

كلا ، لم يستورد الشعب زاد وعيه من خارج ، وإنما هو سرّه الخالد تلقاه جيل عن جيل . أمانة صعبة وميراثاً مفروضاً .

فالشعب الذى هزم الصليبيين وقهر التتار ، ودوّخ الجبابرة ولفظ الغزاة من كل جنس وملة ، لم يكن بحاجة إلى من يقل إليه مقالاً فى التطور يستثير به وعيه ، أو يستورد له شعلة تورية من وراء السور الحديدى تشعل بخوته وتشحذ همته . وفيه ميراثه العريق تلقاه جيل عرابى عن قاهرى الصليبيين والتتار ، ثم تركه